

التحابب في الإسلام جلّ جلاله



كان النبي (ص)، وهو حبيب الإسلام، يقول في بعض دعائه: "اللهم ارزقني حبك، وحبّ مَن يحبّك، وحبّ كلِّ عملٍ يُقرّبُني إليك".

فالحبّ في الإسلام كلٌّ متكاملٌ، إذ لا يمكن أن أحبّ الإسلام ولا أحبّ رسوله، أو أحبّ رسوله ولا أحبّ أهل بيته (ع)، والنبي (ص) نفسه يُعلِّمُني أصلاً من أصول الحب، إذ يقول كما يُحدِّثُنا الإسلام عن ذلك: (قُلْ لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القُرْبى) (الشورى/ 23).

ولا يستقيم حبّ هؤلاء جميعاً في قلب مؤمنٍ لا يكنّ لإخوته في الإسلام حبّاً عظيماً. ففي (حديث المعراج): "يا محمد، ووجبت محبّتي للمُتحابِّين فيّ، ووجبت محبّتي للمتعاطفين فيّ، ووجبت محبّتي للمتواصلين فيّ، ووجبت محبّتي للمتوكِّلين عليّ، وليست لمحبتني عِلَامةٌ ولا غايةٌ ولا نهاية، وكلّما رفعتُ لهم عِلَامةً وضعتُ لهم عِلَامةً".

كما لا يستقيم حبّ إلهي في قلب مؤمنٍ يوادد مَن حادّ الإسلام ورسوله والمؤمنين، لأنّ الإسلام تعالى ما جعل

لرجلٍ من قلوبين في جوفه، بحيث يحبُّ الله ويحبُّ أعداء الله ويداهنهم في نفس الوقت.. فهذا ليس من سقم المودة وفساد الحب، بل هو من عمى البصيرة وفقدان البوصلة.

أمّا مَنْ هم المتحابُّون في الله، العاملون على الاستزادة من حبِّه، فهذا هو النبيّ (ص) يُعرِّفنا بهم، فيقول: "ودَّ المؤمنُ للمؤمنِ في الله من أعظمِ شُعبِ الإيمان، ألا ومَنْ أحبَّ في الله، وأبغضَ في الله، وأعطى في الله، ومَدَّعَ في الله، فهو من أصفياء الله!"

فإنَّ تحبُّ في الله الأصنافَ الخيِّرة المُحبَّة من الشاكرين والمحسنين والصابرين والعاملين والتائبين، فهذا بحدِّ ذاته عامل من عوامل حبِّك له وحبِّه لك، مما يتضح معه أنَّ حبَّ الله ليس تهويمات صوفية يهيم فيها العارفُ أو السالكُ في صومعةٍ بعيداً عن الاتصال بدائرة أو أسرة المحبِّين، العاملين في سبيله، الشادِّين بعضهم أزر بعض، المتعاونين على البرِّ والتقوى، المتناصرين إذا أصابهم البغي، الذين يعطون في الله، ويمنعون في الله، فحبُّ الله في قلوب هؤلاء يفيض لطفاً ورأفةً ومحبةً وإغاثةً وإصلاحاً لعباد الله، إخوتنا في الإنسانية حتى ولو لم يكونوا إخوتنا في الدين، وأمّا هؤلاء فلهم حقان بدلاً من حقٍّ واحد.

إنَّ المعيار في حبِّ الآخرين هو حبُّهم لله، فبمقدار ما يكون الآخر قريباً من الله، محبباً له، مخلصاً له، مستحيماً منه، راجياً له، خائفاً منه، عاملاً من عُمَّاله وجندياً من جنوده، فهو أخي في الله وإن لم تلدّه أمٌّ مَّي، وهو يحمل همومي واهتماماتي وإن اختلفنا لغةً وجغرافيةً وأعراقاً، فلقد ودَّنا الحبُّ الإلهيُّ تحت رايته أو مظلاته فأصبحنا بنعمته إخواناً.

ولقد عُدَّ الحبُّ في الله من أعظمِ شُعبِ الإيمان، لأنَّه الأساس المتين الذي تُشاد عليه أركان المجتمع الاسلامي، والذي به يمكن مواجهة التحديات التي يتعرض لها المسلمون، وبه يمكن بناء أو صناعة الجذَّة الأرضية التي تُمهِّد لمجتمع الجذَّة الأكبر، فلا غرابة أن يدخل المتحابون في الله إلى الجذَّة بغير حساب.

ففي القيامة يُنادي المُنادي: "أين المتحابون في الله؟ فيقوم عنق (جماعة) من الناس، فيقال لهم: ادخلوا الجذَّة بغير حساب! فيعترضهم بعض الملائكة ممن لم يسمعوا بالحكم، فيقولون لهم: إلى أين؟ يقولون: إلى الجذَّة بغير حساب! فيقال لهم: ما كان عملكم في الدنيا؟ فيقولون: كنّا نُحِبُّ في الله. ونُبْغِضُ في الله. فيقال لهم: ادخلوها بسلامٍ آمنين".

ووردَ أنَّ من بين مَنْ يطلّهم الله يوم لا ظلّ إلّا ظلّه "رجُلان تحابَّّا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه".